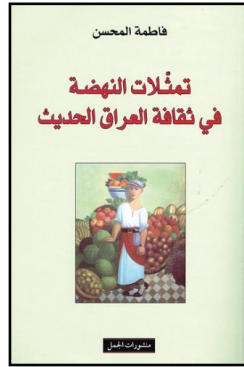


قراءات

تمثلات النهضة في ثقافة العراق الحديث فاطمة المحسن

في مستهل كتاب فاطمة المحسن تمثلات النهضة في ثقافة العراق الحديث، الصادر عن دار الجمل ٢٠١٠، تحدد الكاتبة موضوعه: «هذا الكتاب هو قراءة في التحولات الثقافية التي شهدتها العراق نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ومحاولة للبحث في مقدمات ونشوء النهضة قبل وبعد هذا الوقت». ولا يرمي الكتاب إلى وضع هذا التاريخ أمام محكمة قيمة، إنما يرمي إلى النظر في مدوناته من وجهة نظر «تحاول أن تأتي بجديد».

وفي مقدمة الكتاب تعبر الكاتبة عن نوع من تواشج للهيم الذاتي الشخصي، بوصفها كاتبة عاشت فترة طويلة في المنفى، بالدرس الموضوعي. والقارئ لن يجد في هذا الكتاب غير لغة هادئة التزم شرط الموضوعية وصدّرت آراءها بأفعال الظنّ والرأي لا أفعال اليقين والجزم.



مجموعة كتاب

علماني ومديني حديث، وإن لم تعدم هذه الثقافة حضور مثقفين زاوجوا بين مسألة الحداثة والتراث. ومع ذلك كان الصراع بين دعاة التقليد والحداثة سمة من سمات هذه الثقافة الحديثة.

ترجع فاطمة المحسن رواج مفهوم «النهضة» في الثقافة العراقية والعربية الحديثة إلى البعد الميثولوجي لمعنى المفردة نفسها، أي فكرة الانبعاث أو الإحياء أو إعادة الإحياء، كما ترافق ذلك مع عملية إحياء الفكرة القومية وإحياء أمجادها. فالنهضة لم تكن ثقافية وحسب، بل اكتسبت بعداً سياسياً لا سيما أن الثقافة العراقية الحديثة لم تتبلور وتشكل وتتخذ لها مؤسساتها وسماتها إلا بفضل قيام الدولة العراقية الحديثة. وتقرر الكتابة ذلك بجلاء طاع: «وهكذا ارتبط الفعل السياسي، ببعده الرمزي الذي أنتجته الدولة، وعلى صيغ مختلفة، مع الأفكار التي حاول الترويج لها الكتاب المحليون، في مرحلة فاصلة كانت فيها أفكارهم تواجه أسئلة الذات الوطنية أو السيادة والاستقلال».

كانت النصوص الدينية، والسياسية، والفكرية العامة، والأدبية، والمقالات الوثائق الرئيسة التي اعتمدتها الكتابة في قراءة تحولات الثقافة العربية، واستخلاص بنية هذه الثقافة وتمثيلها، أو تمثيلاتها، لمفهوم النهضة. وضمن التيار السائد اليوم في قراءة ثقافة معينة، لا يرتكن، على عكس الدراسات ذات الطابع الأيديولوجي، إلى مرجعيات فكرية تفسيرية واحدة، بل يزخر الكتاب بمفاهيم متنوعة، تستخدم

ينقسم الكتاب على تسعة فصول، والفصل الأخير منها خصص لتناول السير الذاتية والفكرية لرواد الثقافة العراقية. بيد أن الكتاب زخر بأسماء كتاب ومفكرين وشعراء ومثقفين كثيرين أسهموا في تشكيل هذه الثقافة، بمن فيهم ممن يمكن تسميتهم برواد الثقافة الشعبية. وهذا أمر طبع الكتاب بميزة خاصة في اقترابه من هذه الثقافة، فلطالما تنوسيت هذه الثقافة حين يتم التصدي لدراسة الثقافة العراقية. ولقد خصصت الكاتبة فصلاً كاملاً، الفصل السابع، «الأدب الشعبي والنهضة»، لدراسة الشاعرين الشعبيين ملا عبود الكرخي والحاج زاير.

ومثل جميع الثقافات لم تنبثق الثقافة العراقية ذاتياً، فكان أن لجأت الكاتبة إلى عقد مقارنات بين الحالة العراقية والنهضة العربية في مصر وبلاد الشام، ولم تغفل، فضلاً عن ذلك، تأثيرات الثقافة التركية والإيرانية. فالعراق هو في المحصلة الأخيرة نقطة تقاطع وتلاقي شعوب وثقافات متنوعة. أما المثقفون الذين سيكونون موضوع الدرس فهم إما رجال دين أو مشايخ لم تكتمل في ميدان التحصيل الديني، بيد أنهم انتقلوا إلى ضفة الأفكار الحديثة، ليدخلوا دائرة الضوء ضمن وسائل اتصال غير التي اكتسبوا من خلالها تعليمهم. بيد أنها تزيد على هذا التحديد تحديدات وتميزات دقيقة أخرى تبيّن نوع المثقف ودوره. فلم يعد الدين أو الثقافة التقليدية المرجع الأساسي للمثقف الحديث، إذ تدفقت داخل الثقافة العراقية روافد ثقافية بعضها ذات طابع